1 الخلفيـــة

إرث القرون الوسطى.. بدايته وخفوته

لا يمكـن في نطاق دراستنا المحدود إلا أن نعطي لمحة مختصرة عن أبرز سمات أدب القرون الوسطى [1] أو الأدب العربي الكلاسيكي. ويستطيع القارئ الرجـوع إلى قائمـة مراجع هذا الكتاب[2] لمعرفة المزيـد. ويمكن وصفُ جميع الدراسـات التي كتبت عن الأدب العربي «الحديث» ولم تنجح في الحديث عن خلفيـة الأدب الشـرق أوسطي بأي صفة مـا عدا أنها ليسـت مكتملة، ولذلك فـإن الجزء اللاحق سـوف يحدد بعض السمـات الأساسية لمـا يسمى الأدب العربي «الكلاسيكي» أو «من القرون الوسطى»، لافتًا النظر إلى بعض ملامحه الرئيسة بوصفه خلفية للحقبة الحديثة اللاحقة له.

يجـب أن نبـدأ مرة أخـرى ببعض التعريفـات، والأدب العربي ضاعت بداياته مثله مثل أدب اليونان الكلاسيكي مع مرور الزمن، وذلك (مرة أخرى مثـل اليونان) لأن العينـات الأولى منه اُسْتُمِدَّتْ من ثقافـة شفهية أكثر منها كتابيـة، لذلـك فإن معظم تاريـخ البدايات يخضع لا محالـة للتوقعات، ولكن يكمننـا القـول: إن الأدب العربـي القديم ظهـر نحو أواسط القـرن السادس الميـلادي، حيث نجد قصائد كاملة لجسد شعري بـدوي قبلي ظهر في أنحاء شبـه الجزيـرة العربية بأوزان وقوافٍ متطورة، ما يـدل على حقبة طويلة من التطـور (مـن المتوقـع أن تكون قرونًـا عـدّة)، ويسمى هذا الجسـد الشعري

عـادة «الشعـر الجاهلي» (على الرغم من أنه يمتـد إلى الحقبة الإسلامية)، ويكـون أحد القسمين الرئيسين لبدايـات التطور اللاحق لمعظم الأدب العربي القديم، ونقطة البداية الأخرى هي نزول القرآن الكريم، الذي نزل على النبي محمـد ﷺ على مـدى 20 عامًا تقريبًا ما بـين 610م إلى 632م. وظهر التطور اللاحـق للأدب العربي القديم، وأيضًا للغـة العربية، في ظل حادثتين أدبيتين محوريتين: بقيـت مادة الشعر العربي وقوافيه، كما كانت في العصر الجاهلي مـع بعض الاستثناءات القليلـة، ولم تتغير بشكل رئيس لـدى معظم الشعراء حتـى القـرن العشرين، واستمر تعليق المعلقات السبـع [3] على الكعبة بوصفه أمثلـة متفوقـة لفـن الشاعـر، في حين تطـور هـذا الشعر في أشـكال عدة في العصور اللاحقة. وبالنسبة إلى القرآن مع الأخذ في الحسبان أهميته وتفرُّده بأنـه كلام الله، (وبذلـك فـإن تعريفه «ليس لـه مثيل»)، لغة القـرآن الكريم وبلاغته استمرت في التأثير وتشكيل معظم التراث الأدبي اللاحق وليس فقط المكتوب بالعربية، ولكن أيضًا المكتوب لشعوب مسلمة تتحدث بلغات أخرى مثل الفارسية والتركية والأوردية.

وكما سنرى لاحقًا، يدين الازدهار اللاحق لهذا التراث الغني في مختلف فروعـه بالكثير للتأثـر والأخذ من الحضارات الأخرى التـي ليس أقلها الهند وإيـران قبل الإسلام، ولكـن الأسس المحلية للشعر الجاهلـي والقرآن الكريم لم تفقـد مكانتها المهمة بوصفهـا مصدرَ إلهام مهمًّا للـتراث الأدبي العربي. ومـن المؤكد أن التداخل بين مسارين أحدهما ديني والآخر مادي أدى دورًا في تطويـر نموذج متميز لـلأدب العربي في الزمن القـديم أو العصور الوسطى. وأيضًا، هناك مسار ثالث، وهو موازٍ للتراث الأدبي المستمد من القرآن الكريم والشعر الجاهلي (الذي يوصف أحيانًا بالأدب القيم، أو النخبوي).

كان العالم العربي في القرون الوسطى حضنًا لأدب «شعبي» كان في معظمه شفهيًّا في طبيعته (على الأقل حتى وقت قريب)، ولم يكن ينظر إليه على أنه يستحق اسم الأدب[4] أو أن يضم إلى مجموعة الإنتاج الأدبي العربي. ومن المضحك، ربما، أن عملاً من هذا النوع، ألف ليلة وليلة[5]، الذي كان، على الأقل حتى وقت قريب، يجادل بأنه أفضل عمل أدبي عربي معروف لمعظم القراء الغربيين.

إذا كان تحديد أصل ظهور التراث الأدب العربي وبدايته مشكلة بسبب عدم وجود أدلة مكتوبة، فإن تحديد نقطة نهاية للأدب العربي القديم أو الأوسط يشمل مشكلات أخرى مختلفة. يبدو أن هناك شبه إجماع على أن أفضل الأدب العربي القديم هو الذي كتب حين سقطت بغداد عام 1258م بيد المغول. وعلى الرغم من ظهور عدد من الأدباء المنفردين المتميزين[6] في العصور اللاحقة لذلك، ولكن التراث الذي كان يصل بين الأجيال في العصور السابقة انتهى إلى غير رجعة. وقبل عام 1258م بدأت الإمبراطورية الإسلامية التي وصلت إلى أوج ازدهارها في العصر العباسي بالتفكك، وسيطر العثمانيون نحو عام 1517م على مصر وسوريا. وعلى الرغم من أن اللغة العربية احتفظت بقوتها بصفتها لغة القرآن الكريم والتعاليم الإسلامية، ولكن منذ القرن السادس عشر بدأت اللغة التركية تأخذ تدريجيًّا مكان اللغة العربية في أواسط العالم العربي بوصفها لغة للإدارة والتعليم، وأخذ الأدب العربي يصطبغ بازدياد بأسلوب جديد، ويبتعد عن أصوله. ونتيجة لذلك توصف أحيانًا السنوات بين سقوط بغداد عام 1258م وغزو نابليون مصرَ عام 1798 «بالعصور المظلمة» للأدب العربي. وفي الحقيقة؛ فإن هذه الحقبة لم تأخذ حقها من البحث - مخزن كبير لكنوز مفقودة - جزئيًّا، بسبب افتقارها إلى نقاط رئيسة واضحة

لـلأدب العربي القديم والحقبة الحديثة. وأيضًا لسبب آخر، ربما، هو الوضع الاجتماعـي اللغوي للبلدان العربية خلال هذه الحقبة، ما يعني أنه يجب على أي باحـث جـاد أن يكون ضليعًا، ليـس فقط في اللغة العربيـة، ولكن أيضًا في اللغة التركية العثمانية. وأيًّا كانت أهمية أو عدم أهمية إنتاج تلك المرحلة فمن الواضح أن وصف «العصـور المظلمة» ليس بالمناسب، ولذلك سوف أشير إليه في هـذا الكتاب بمصطلح حيادي هو «المرحلـة الانتقالية»، الذي لا يعني أكثر مـن أنه يفصل بين الزمـن الذي عرف تحديدًا بالحقبـة الكلاسيكية والأدب «الحديث» الذي يشكل الموضوع الرئيس لهذا الكتاب.

القرآن الكريم والأحاديث النبوية في الأدب العربي

يُعَـدُّ القرآن الكـريم (قـراءة، وترتيلًا، ودراسـة... إلخ) إحـدى الدعائم الأولى الرئيسـة التي قام عليهـا تطور الأدب العربي فيما بعـد، ويؤمن المسلمون بـأن القرآن الكريم هو كلام الله نزل بـه جبريل على محمد ﷺ. ولد محمد ﷺ في القبيلة الأرستقراطية قريش، ومقامها في مكة المكرمة، وكانت المركز التجاري والديني نحو عام 570م. ويعرف القليل عن حياته الأولى، فوالده توفي قبل ولادته، وتوفيـت والدته وهو في سن السادسة، وتولى رعايته أولًا جَدُّهُ عبد المطلب ثم عمه أبـو طالـب. وعاش مدة من عمره مع البدو، ومـن المحتمل أن يكون قد زار سوريا تاجـرًا، ثـم توجه إلى العزلة والتأمـل، وفي نحو الأربعين من عمـره بَشَّرَ برسالة دينيـة في مكة المكرمـة، جوهر هذه الرسالـة أن الله سيخضع العـالم للحساب، وسيعاقب المخطئ، ويجازي المحسن. وعلى الرغم من أن رسالة محمد ﷺ كانت معروفـة لليهود والنصارى (الذين كان يوجـد بعضهم في شبه جزيرة العرب في ذلـك الوقـت)، ولكنّ محمدًا ﷺ واجـه معارضة لدعوته في مكـة المكرمة. وعام 622م تـرك مكـة المكرمة واتجـه إلى المدينة المنورة، التي كان لـه فيها أنصار،

مـع مجموعة من المصدقـين برسالته، وعرفت رحلته تلـك في التاريخ العربي بالهجرة. قسمت هذه الهجرة عمل محمد ﷺ إلى قسمين، وإنها كانت البداية للتقويم الإسلامي[7]. وتطور دور محمد ﷺ بوصفه رئيسًا للمجتمع الإسلامي الناشـئ، من واعظ ومبشـر إلى سياسي ومؤسس لنظـام قانوني. وتوفي عام 632م بعد أن أخضع مكة المكرمة ومَدَّ نفوذه إلى معظم المناطق المحيطة بها.

ولم يتطرق شَكٌّ إلى صحة الوحي الذي كَوَّنَ مادة القرآن الكريم، على الرغم من عدم وضوح العملية التي جُمِعَ ورُتِّبَ فيها القرآن الكريم بشكله الحالي. ويتكون مـن 114 سورة، وتتكـون كل سورة من آيات، وهذه السور ليست مرتبة تدريجيًّا أو بحسب موضوعاتها، ولكنها مرتبة بناء على طول السورة، بدءًا بالسورة الأطول، فيمـا عدا سورة الفاتحة التـي هي السورة الأولى، ويستخدمهـا المسلمون بشكل واسـع دعاءً. وتبدأ جميـع السور بالبسملة[*]، والمسلمون عـادة يبدأون بالبسملة قبل البدء بأي عمل، سواء كان طعامًا أم شرابًا أو قبل القيام برحلة.

تُظهِـر لغة القرآن الكـريم تحولًا من السور القصـيرة المكية إلى السور المدنية الأطـول. وتتسم الأجزاء الأولى من القـرآن الكريم بالآيات القصيرة التـي تستخـدم الأسجـاع المقفـاة بالأسلـوب التقليـدي للكاهـن الجاهلـي لإيصـال رسالـة عن حقيقـة يوم القيامـة، الذي يُكَافَـأُ فيه المؤمـن بالجنة، ويخلـد الكافـر في جهنم. ويؤكد القرآن الكـريم أن «لا إله إلا الله وأن محمدًا رسـول الله»، ويدعم ذلك بقصـص عن الأنبياء السابقـين من الإنجيل ومن عـرب الجاهلية، وعـن أقوام عوقبـوا لطغيانهـم وعصيانهـم. وبتعاظم دور محمد ﷺ بدأ باستخدام أسلوب أقل دراماتيكية وأسلوب أقل سجعًا، واستخدام جمـل أطول، وهـو الأسلوب الأقـرب إلى النثر كما نعرفـه الآن، ولكنه احتفظ

(*) سورة التوبة «براءة» لا تبدأ بالبسملة (المراجع).

بسمة السجع المميزة للأسلوب العربي[8]. ويعكس هذا التغير في الأسلوب ثقة باستخدام اللغة، وأيضًا تطورًا في دور الرسول نفسه بوصفه قائدًا للمجتمع الإسلامي الناشئ، ونجده يوجِّه اهتمامه إلى المنظمة الاجتماعية والتنظيمات التشريعية، وإن السور احتوت إضافة إلى الوحي الإلهي والتعاليم الدينية تنظيماتٍ وتشريعاتٍ للزواج والوراثة، وشعائر الصيام، والزكاة، والحج، وما إلى ذلك. وهنا حَلَّ محمد ﷺ السياسي محل محمد الرسول ﷺ[9]، إذا استعرنا تعبير مونتجمرى واتس Montgomery Watt.

ومثل كثير من الأدب العربي لاحقًا، فإن القرآن الكريم أمتع سماعًا منه وقراءة. والصور المستخدمة مروعة، وتصل اللغة إلى درجة عالية من الجمال تعجز الترجمة عن نقلها، ومؤكد أن ترجمة القرآن الكريم تبدو فكرة هرطقية تقريبًا للمفسرين المسلمين[10]، وأكدت بعد ذلك العقيدة الأساسية إعجاز القرآن الكريم، وجوهر هذه الفكرة هو تحدي معارضي الرسول ﷺ بأن يأتوا بكتاب مثله. ولهذا السبب كانت محاولات مضاهاة القرآن الكريم نادرة، ونتائجها دائمًا سيئة[11]. وبغض النظر عن هذا التشديد على عدم محاكاة القرآن الكريم، فإن أفكار القرآن الكريم ولغته وإيقاعه تنتشر في جميع مجالات الأدب العربي اللاحق له. ولأن القرآن الكريم هو الكتاب الأول بالمعنى الزمني وفي مكانته، فإن حفظه كان حتى وقت قريب هو الأساس للتعليم الإسلامي، والإشارات والاقتباسات من القرآن الكريم موجودة في جميع أنواع الكتب الأدبية تقريبًا. ولا تقتصر أهمية القرآن الكريم على المحيط الأدبي فقط؛ لأن اللغة العربية أسست نفسها بوصفها لغة عالمية من خلال القرآن

الكريم، خادمة جميع العلماء المسلمين بصفتها أداة للتفكير. وساعد التنظيم الإسلامي في القرون اللاحقة لوفاة الرسول ﷺ على تقوية القواعد اللغوية الموجودة في القرآن الكريم، التي أصبحت سريعًا الأساس «لأدب» عربي رفيع.

ولم يظهر القرآن الكريم بوصفه كتابًا إلا بعد وفاة الرسول ﷺ. ومن المؤكد أن جزءًا منه قد كتب في حياة الرسول ﷺ، ولكن من المعروف أنه لم يجمع في كتاب واحد إلا حين أُمر زيد بن ثابت رضي الله عنه، كاتب الرسول ﷺ، بجمع القرآن الكريم من «الألواح والجلود وسعف النخيل ومن صدور الرجال»[12]، وهذه هي المرة الأولى لكتابة القرآن الكريم في كتاب واحد. بعد ذلك نحو عام 650/1م كَوَّنَ الخليفة الثالث «عثمان» لجنة (من ضمنها زيد بن ثابت) لمقارنة القراءات المختلفة للقرآن وكتابة قرآن واضح وكامل، وعلى الرغم من استمرار وجود القراءات المختلفة للقرآن، ولكن نص القرآن الكريم الموجود بين أيدينا حاليًا هو الذي كتب نحو عام 660م.

وفي هذه الأثناء، بدأ المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهو أحاديث الرسول ﷺ مع أصحابه، الذي يعرف بعلم الحديث، يتبلور ويأخذ شكله[13]. ويؤمن المسلمون بأن إرادة الله لم تنزل على الرسول ﷺ في آيات القرآن الكريم فقط، ولكن تظهر أيضًا في كلمات النبي ﷺ وتصرفاته، وعُدَّتِ المصدر الثاني للوحي الإلهي الذي يكمل القرآن الكريم. ولم يكن جمع الأحاديث المتفرقة في عمل واحد سهلًا، ولكنه عملية معقدة أصعب من جمع القرآن الكريم؛ وذلك لأن هذه الأحاديث تختلف في أصلها أو مصداقيتها. ولأنها كانت تتناقل مشافهة مدة ثلاثة عقود فإنها كانت كثيرًا ما تستخدم من الأطراف السياسية والأحزاب الدينية المختلفة لإضفاء الشرعية على مواقفهم ووجهة نظرهم. وأدت الحاجة إلى نقد الحديث وتمحيصه إلى ظهور معيار علمي؛

للتأكد من مصداقية كل حديث على حدة، الذي كان معظم الاهتمام فيه منصبًّا على صدق راوي الحديث و«سلسلة» ناقليه[14] من بعده، التي تلي نص الحديث، وتُعَدُّ هذه السلسلة إحدى أهم سمات هذا النوع الأدبي «العلم». في البداية؛ صُنِّفت الأحاديث ورتبت حسب رواتها الأوائل، ثم بعد ذلك أصبح التصنيف حسب موضوعاتها، وهي الأكثر شيوعًا[15]، واكتسبت هذه بمرور الوقت أهمية بوصفها أحد مصادر التشريع الإسلامي، وأكثر كتب الأحاديث السنية شهرة صحيحا مسلم (875-810) والبخاري (870-810) اللذان مَهَّدا الطريق لكتب أحاديث أخرى.

وضعت الدراسة العلمية للمشتغلين باستكمال جمع الأحاديث وتحقيقها، الأساسَ لظهور علم التاريخ العربي الذي وصل ذروته في القرن الثاني الهجري في عصر الخلافة العباسية. ويصر بعض الناس على أن أول عمل تاريخي جاد كان سيرة الرسول ﷺ، التي كتبها ابن إسحاق (توفي عام 767م)، ثم حققها ابن هشام (توفي عام 834م)، وكان المدونات التاريخية السابقة أيضًا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالأسئلة الدينية. ومن الطبيعي أن تكون الكتابات التاريخية الأولى عرضًا زمنيًّا للأحداث التي كان من أهم أهدافها الرئيسة وضع تاريخ دقيق لرواة الحديث. ويدعم مثل هذا التوجه تطور أحد أهم فروع الأدب العربي القديم، معجم السير أو التراجم[16]، وهو النوع الذي لا تزال أصوله غامضة، ومن المرجح أنه يعود إلى أحاديث الجاهلية عن «أيام العرب»، وهو يحوي تاريخ الصراعات بين القبائل، الذي يكون على الأقل في جزء منه تاريخًا حقيقيًّا لعرب الجاهلية. وأفضل توثيق تاريخي نجده عند محمد بن جرير الطبري (923-839م) «تاريخ الرسل والملوك» الذي بقي مصدرًا لا يجارى لاستقاء المعلومات التاريخية في صدر الإسلام. لاحقًا، وسّع

الكُتَّـاب نطاق الكتابـات الأولى بمحاولات في كتابة التحليـل التاريخي وزيادة المشاهد الجغرافية والثقافية في أعمال جيدة ومميزة؛ لقيمتها الأدبية ووعيها التاريخـي: ومن الأمثلة المميزة لهذا التوجـه كتاب «مروج الذهب» للمسعودي (856–896م). وهـو تاريخ عالمي يكشف ليس فقط عن معرفة واسعة وعميقة، ولكـن أيضًـا عـن فضول كبير عـن الحضـارات الأخرى خارج حـدود العالم الإسلامـي، ولكـن علم التاريخ العربي لم يتخطَّ حـدود السرد والرواية إلا في القـرن الرابع عشر مع أعمال ابن خلدون (1332–1406م) الذي يمكن القول: إن علـم التاريخ العربي تخطى حدود سرد الأحداث إلى وضع فلسفة التاريخ، ولسـوء الحـظ، وعلى الرغم مـن أن مقدمة ابن خلدون أفضـل عمل تاريخي عربـي معروف في الغرب، ولكنه لم يقـرأ في العالم العربي حتى القرن التاسع عشـر، وهـذا يشير إلى تقدم ابـن خلدون على زمنه، وأيضًـا على الانحطاط الفكـري في الحقبة ما بين القرن الخامس عشـر وبداية النهضة العلمية التي ستُنَاقَش في الفصل المقبل.

وإضافـة إلى ذلـك، وأيضًا متعلق بشكل كبير بعلـم الحديث، فقد بدأت فروع عدة لكتابات دينية تظهر في القرون اللاحقة لنزول القرآن الكريم. ومن تلـك، علم التفسـير الذي هو الأقـرب إلى النص القرآني، وهـو يعانق جميع أوجـه التعليقـات والشروح على القرآن الكريم، ويشمـل ذلك أسباب النزول، والإشـكالات النحوية والعلاقة التاريخية للنصـ، والتعليق على مواضع مهمة دينيًـا وقانونيًـا. وكتابـة هذا النـوع من الأدب وصـل إلى مرحلـة النضج مع الطـبري الذي سبق ذكره مؤرخًا[17]، ويحتوي مؤلفه «تفسير الطبري»، المكون من 30 جزءًا جميع المعلومات، آية بآية، التي أمكنه الحصول عليها من الشُّراح السابقين. وهذا العمل بدوره كوَّن الأساس لتفسيرات أخرى لكتاب متأخرين. ويجـب أن ننتبـه إلى أن الاستعانـة بأعمال الكتاب السابقـين أساسًا لكتابات

أخـرى أوسع تشـكل أحد أهم معـالم النشاط الفكـرى الإسلامي في القديم، (تمتـد أبعد من مدى الكتابات الدينية) وصـدى هذه النماذج مازال موجودًا في الكتابات الحديثة.

ويقابـل علـم التفسير علمًا آخـر، لكنه لم يكـن مرتبطًا ارتباطًـا وثيقًا بالقـرآن الكريم مثل علم التفسير، وهو علـم الكلام الذي يهدف إلى صياغة فلسفة للعقيدة الدينية. وكان الباعث لظهوره، جزئيًّا على الأقل، الحاجة إلى تقريب العقيدة الإسلامية من التراث الفلسفي الإغريقي، ووجدت هذه الكتابة نصيرًا لها في شخص الأشعري (توفي 935م) الذي كان لكتابه «البيان وأصول الديانـة» تأثير كبير على الأجيال اللاحقـة من علماء الدين. ووجد هذا النوع مـن الأدب دعمًا لـه في تأسيس أكاديميات دينية في مـدن عدة، وكانت تدعى نظاميـات، نسبةً إلى مؤسسها نظام المُلك. ولم يكن جميع الإنتاج الأدبي تابعًا لهذا التوجـه الديني والفلسفي، فالإسلام مثل النصرانية، ظهر لديه التراث الصـوفي الذي تمتد جـذوره إلى الممارسـات التنسكية التـي طورها المؤمنون الأوائـل الذين كانوا يجتمعـون لترتيل القـرآن، إلى أن ينكشف معناه الباطن لهـم. ويطلق اسم رائـد أدب الصوفية الإسلامية عادة على الحسن البصري (تـوفي عام 728م). وبعد نحو قرن أو أكثر قليـلًا أطلق اسم «صوفي»[18] على المخلصـين لهذه الطريقة، وبدأت تظهر على هـذه الحركة تأثيرات خارجية، مثل العنطوسية، التي أزعجت علماء الدين المتشددين. وصل الاتجاه الوجودي إلى هذه الحركة والأدب المرتبط بها إلى أوجه عام 922م، مع محاكمة الحلاج الذي اتُّهِم بالزندقـة؛ لإعلانه أنه هو والله وحدة واحدة، وتم إعدام الحلاج، وصرخته المشهورة «أنا الحق» تعلن روح الموقف الصوفي المتشدد.

أنتج الإسلام الصوفي مجلداتٍ كثيرةً في النثر والشعر، التي تحتوي على أفضل الأسس في الأدب العربي القديم، والتي لا تزال تقرأ حتى الآن. وإن له تأثيرًا كبيرًا على الأدب الفارسي، (وبشكل أقل) في الآداب الإسلامية غير العربية الأخرى. ومن الأعمال المميزة كتابات ابن الفارض (811م- 1235م) الذي ينظر إليه عادة بوصفه أعظم شاعر صوفي في اللغة العربية ومعاصره ابن عربي (1165م- 1240م)، وهو كاتب غزير الإنتاج في النثر والشعر، الذي يقدم كتابه «الفتوحات المكية» مصدرًا للكاتب المصري المعاصر جمال الغيطاني «تجليات الغيطاني» (1983م- 1986م) [19]. وبعد ذلك بنحو نصف قرن، نَظَمَ البصيري (توفي 5/ 1294م) قصيدته الشهيرة «قصيدة البردة» التي ينشدها منذ ذلك الحين المؤمنون المخلصون على التمائم؛ للتعبير عن إخلاصهم في تجمعات الأذكار. والغزالي[20] (1059م- 1111م) هو الكاتب الذي من دون شك نجح في التوفيق بين الصوفية وأكثر الصيغ الإسلامية تشددًا، وينظر إليه على أنه أعظم شخصية في تاريخ الفكر الإسلامي، الذي توحي قصته بمذاق حديث: تلقى الغزالي تعليمًا تقليديًّا إسلاميًّا وعمل مدرسًا، عانى ما نسميه اليوم انهيارًا عصبيًّا واعتزل العالم، محاولًا استعادة إيمانه المفقود، ولكنه لم يجد ضالته إلا حين أعاد اكتشاف الإسلام من خلال الصوفية. ووصف بحثه الروحي في كتابه «المنقذ من الضلال»[21]، بأنه كتاب أقرب ما يكون إلى الفكرة الحديثة للسيرة الذاتية من التراث الأدبي، وهو يمثل التراث المكمل للنثر العربي القديم، غامض ولكنه مغرٍ في الوقت نفسه. ووضع رؤيته الكاملة عن الدين في كتابه «إحياء علوم الدين». وهو عمل ضخم ومميز؛ لتأكيده على أن الدين تجربة روحية تؤسس على محبة الله بدلًا من نظام بحت للأفكار.

النثر «الأدبي» في الأدب العربي القديم

كما هو واضح مما سبق، فإن الحدود الفاصلة بين ما هو «ديني» وما هو «غير ديني» غير واضحة في الأدب العربي القديم، ومن الصعب تمييزها، وليست مطابقة لتلك الموجودة في التراث الغربي. وبغض النظر عن التأثير الإسلامي القوي في تطور الأشكال الأدبية المختلفة والمذكورة سابقًا، فإن تطور أدب النثر العربي القديم لم يكن بدافع ديني فقط، وكان منذ بداياته تحت مؤثرات من خارج العالم الإسلامي التي أثرته وأدت إلى ظهور أشكال أدبية جديدة. وأدت الترجمة دورًا مهمًّا في هذا التطور (كما هي الحال مع الفلسفة الإسلامية، كما يتضح مما سبق، والنهضة الثقافية الحديثة التي ستناقش لاحقًا).

وأول ثلاثة أمثلة «لأدب النثر» كما نفهم الاسم عادة اليوم هي ثلاث رسائل ألفها «عبدالحميد بن يحيى»، وكان يشغل - بالاسم الوظيفي اليوم - منصب سكرتير لدى آخر الخلفاء الأمويين مروان الثاني (744 - 750) [22]. ومن الواضح أن كتابة مثل هذه الرسائل كانت ظاهرة معزولة نسبيًّا، ومن المؤكد أن أول عمل كان له تأثير جوهري في التطورات اللاحقة على هذا الفن كان كتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع، الذي ترجمه من الفارسية، وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والحكايات على ألسنة الحيوانات، ويَعُدُّهُ معظم المختصين مثالًا للأسلوب الرفيع في الكتابة، ومازال يقرأ بشكل واسع حتى اليوم. ومصدر هذه القصص يمكن أن يتتبع، ويرجع إلى اللغة السنسكريتية مثل بانشاتانترا وحكايات بيدبا. وهناك كثير من الأعمال التي نهجت نهج ابن المقفع، ولكنها مع الأسف اختفت، ويُعَدُّ ابن المقفع مؤسس ما يسمى بـ «مدرسة الكُتاب» للأدب العربي، وهو في جوهره نوع تعليمي[23] كما يشار إليه باسم «مرآة الأمراء»، الذي يهدف إلى تقديم النصح والأرشاد للحكام

والـوزراء. وهذا الفن الذي يأخذ من التراث الفارسي الإمبراطوري للحكومة (ابـن المقفع كان فارسيًّا) تبناه وطوره مجموعة من الكتاب العرب في القرون الوسطـى، الذيـن كان منهـم الغزالي الذي سبـق ذكره، والـذي يجمع كتابه «نصيحـة الملوك» (كُتِـبَ بالفارسية) بين الاهتمامـات التقليدية لهذا التراث «مدرسة الكُتاب» والتوجه الإسلامي القوي.

ويجمـع كثير من الأعمـال الأدبية على شاكلة «مـرآة الأمراء» بين مهمة النصـح وهدفها المكمل، وهو إمتاع القارئ، وهذا الميل لتغيير الأسلوب لجذب أنتبـاه انتباه القارئ يُعَـدُّ إحدى أهم سمات أدب النـثر المتخيل أو القصصي القـديم بشـكل عام[24]. ومـن المتفق عليـه أن هذا النوع مـن الأدب وجد أبلغ تعبير له في أعمال الجاحظ (7/776 - 9/868)[25]، الذي ضم إنتاجه الغزير أعمـالًا تعدت النثر الأدبـي، منها موضوعـات دينية، وعلم الـكلام، وأعمال فلسفية وعدد من الكتـب التي يمكن أن توصف بلغة اليوم بالنقد الاجتماعي، ومن أشهـر أعماله الأجـزاء السبعة لكتاب «الحيوان»، ويضـم وصفه لمملكة الحيوان، الـذي يهدف إلى وحدة الخلق، وكتاب «البخلاء»، وهو مجموعة من الحكايات الطريفة التي تصف تضاءل الصفات العربية من الكرم والشهامة، وكتـاب «رسالـة القيان»، وهي وثيقـة تضم معلومات قيمة عـن العلاقات بين الجنسين، ليس فقط في العصر العباسي، ولكن في عصور سابقة أيضًا.

وليسـت هنـاك فائدة كبيرة من تتبع تطوير وتنميـة أسلوب الجاحظ في الأدب مـن قِبَل الكتاب المتأخرين من العصور الوسطى مثل ابن قتيبة (828-889) والمسعـودي (896 - 956) أو الثعالبي (961-1038)[26]. ويمكن الإشارة إلى بعض السمات العامة لهذا النوع من النثر، ولعل أوضحها إضافة إلى التغير المستمر للأسلوب الذي سبقت الإشارة إليه، فهذا الأسلوب ليس مختصًّا بعلم

معين، ويناسب جميع المعارف بدلًا من أن ينحني لقوانين وتقليد نوع أدبي معين (حديث، وعلم الكلام، وطريقة)، فهو يأخذ من جميع الفروع العلمية ما يحتاج إليه للتعليم العام ومتعة القارئ. القليل من الأعمال يكشف عن الحس و«الوحدة الفنية» كما تعرف وتفهم في الغرب، وهناك الكثير من الاستطراد بأنواع مختلفة، إضافة إلى أن الكثير من كتب الأدب تعتمد كثيرًا على أعمال أدبية سابقة لتوضيح موضوعاتها واقتباسات من مصادر متعددة سواء من الشعر أو النثر - وهي منتشرة في جميع النص الرئيس. وكما رأينا سابقًا[27]، فإن استخدام أعمال الكتاب السابقين بوصفها أساسًا لكتابة موضوع ما كان سمة شائعة للكتابة الدينية، كما أن هذا التوجه موجود في الكتابة الأدبية أيضًا.

استمر تطوير الأساليب التقليدية للأدب في العصور اللاحقة - ليس أقلها من قبل الموظفين الرسميين، الذين كان من ضمن مهامهم كتابة المراسلات والوثائق الرسمية الأخرى، وكانت درجة مهارتهم الأدبية أحد الشروط الأساسية للتوظيف. وفي هذه الأثناء، ظهر نوع جديد من الأدب، ووصل إلى مرحلة نضج، ويمثل أحد الأشكال الأدبية العربية المميزة، كما يَعُدُّهُ بعض الناس أيضًا أقرب الأشكال إلى أسلوب القصة القصيرة، الذي استخدمه كتاب معينون حتى القرن العشرين، ومن ثَمَّ فهو يشكل حلقة وصل مهمة بين الأدب العربي القديم والحديث. وهذا النوع الأدبي الذي يعرف باسم المقامة[28] يعرف عادة بأن مؤسسه هو بديع الزمان الهمذاني (699-1008)[29]، ويستخدم النثر المسجع الذي ذُكِر من قبل بوصفه سمة للكاهن الجاهلي[30]. وتتكون المقامة تقليديًّا من قصة قصيرة يرويها الراوي، الذي يواجه متشردًا متنقلًا من

مـكان إلى آخر مستخدمًا بلاغته للحفاظ على حياته من حِيل ماكرة، ويدعى الـراوي في مقامات الهمذاني بابن هشام، في حين بطـل المقامة هو أبو الفتح الإسكندري[31]. وعـادة يتعرض بطل المقامة إلى انقلاب مفاجئ في الأحوال، وينتشر الشعر في محتوى المقامة ليظهر الموهبة الشعرية للكاتب.

ووصـل هـذا الفـن الأدبـي ذروتـه في أعمـال الحريـري البصـري (1054–1122) الذي حافظ على الإطار الأساس لبناء الهمذاني، في حين غيَّر اسـم البطل وسماه أبو زيـد السروجي واسم الراوي الحارث بن همام. وعلى الرغم من أن هذه المقامات مقاربات جزئية لعمل الهمذاني، ولكن ينظر إليها عالميًّـا على أنهـا أفضل، وغالبًا تُعَـدُّ نموذجًا للعبقرية اللغويـة والأدبية. وقد يكـون السرُّ في جاذبية هـذه المقامات، على الرغم مـن غموض معظم لغتها، وإغراقها في الحيل اللفظية التي تجعلها صعبة الفهم على القارئ الغربي، أن الكاتب كان متيقظًا للهدف الذي من أجله كتبت، وهو إمتاع القارئ.

ولسوء الحظ، يبدو أن المقامة حوت داخلها بذور دمارها، على الرغم من أن البراعة الفنية اللغوية، إذا استخدمت الاستخدام السليم يمكن أن تضيف بريقًـا وجمالًا لهذا النوع من التعبـير، وكان الهمذاني نفسه، بغض النظرعن مقاماتـه، مسؤولًا عن كتابـة عدد من الأعمال التي أدى فيهـا الطباق اللغوي نصيب الأسد مغطيًا على الفطنة والخيال: ومن ضمن هذه الأعمال يمكننا أن نذكر الرسالة السينية والرسالة الشينية (وهما عملان يظهر فيهما الحرفان السـين والشين في كل كلمة)، وقصائد تتكون مـن أحرف دون نقاط، وما إلى ذلـك. وبمرور الوقت أصبحـت هذه السمات علامة مميـزة لشكل المقامات، ولكـن إنجـازات الحريري والهمـذاني في كتابـة المقامة لم يماثلهـا شيء في القـرون اللاحقة، ونظر إلى الإغراق في «كتابات الحيـل» اللغوية بهذا الشكل

مقياسًا لانحطاط الأدب العربي إلى أن وصل إلى مرحلة متأخرة ولم ينهض إلا في القرن التاسع عشر[32].

الشعر

وكما أشرنا من قبل، احتل الشعر في التراث العربي القديم مكانة مهمة، وَعُدَّ اللاحق في الأهمية بعد تنزيل القرآن الكريم. وبوصفه فنًا شفهيًّا، فإنه من الصعب معرفة بداية الشعر العربي، والذي لا مجال للشك فيه أن الظهور الأول الواضح للشعر العربي وتاريخيًّا ظهر قبل نبوة الرسول محمد ﷺ بنحو قرن من الزمن، وكان نتاج قرون عدة من التطور من لا شيء تقريبًا، وتمثل ظاهرة الشعر الجاهلي بصفتها شكلًا فنيًّا مكتمل المناظر لظهور الفن الإغريقي عند هوميروس والترانيم الهرمزية، ولا يوجد أي رابط بين التراثين في النواحي الأخرى البنائية والموضوعية.

ويمكن أن يقسم الشعر الجاهلي إلى نوعين رئيسين قطعة[33] (قصيدة قصيرة، وتكون عادة عن موضوع واحد)، وقصيدة[34] وهي أطول وبناؤها أكثر تعقيدًا. وتشمل موضوعات القطعة الرثاء، والمدح، والفخر، والهجاء، وتشترك القصيدة معها في هذه الموضوعات، على الرغم من أن العلاقة الدقيقة بين هذين النوعين من الشعر تبقى محلًّا للجدل[35].

وعلى الرغم من أن القصيدة تشترك مع القطعة في سمات القافية الموحدة واستخدام أوزان محددة مبنية على طول البيت[36]، ولكن بنيتهما الكاملة أكثر تعقيدًا. وتتراوح القصيدة بين 30 بيتًا و100 بيت، ويصل البيت إلى 30 مقطعًا مقسمة بشكل متساوٍ إلى حد ما على شطري البيت. ويختلف نطاق موضوعات القصيدة وترتيبها بشكل كبير في هذا البناء الشعري. وحدَّد

مبكـرًا الكاتـب العربي ابن قتيبـة (828 – 889) قالبًا بدا لـه أنه يحتوي على جوهر القصيدة الجاهلية، واقتبس تعريفه على نطاق واسع:

لقـد سمعـت... أن ناظم القصائـد يبدأ بذكر المضـارب التي أصبحت مهجـورة وآثار السكن وبقاياه. ثم يبكـي ويندب ويخاطب المضارب المهجورة، ويتوسل إلى رفيقـه أن يتوقف... ثم يربط هذا بالمقدمة الغزلية، ويشتكي من قـوة حبه وألم فراق حبيبته... وحين يتأكد الشاعر من إصغاء مستمعه يستمر في الشكـوى من الضعف والحاجـة إلى النوم... وكيف أن راحلته هزلت، وبعد أن يعرضـ كل مصاعـب رحلته وأخطارهـا، ويعرف أنه أعطـى تبريرًا لأمله وتوقعـه في أن يحصل علـى جائزته من الشخص الذي وجهت إليه القصيدة، ويدخل في المديح، ويحثه على إجزال الهبة[37].

وعلى الرغم من أن وصف ابن قتيبة يمكن أن ينطبق حرفيًّا بكل تفاصيله علـى مجموعة فقط من القصائد الجاهلية (وعلـى عدد أقل للعصر اللاحق لـه)، ولكنـه يقدم صـورة مفيدة يمكـن من خلالهـا تحليل تطـور القصيدة مـن بدايتهـا إلى العصر الأمـوي والعباسي. ويمكن تقسيـم معظم القصائد الجاهليـة المعروفـة على الأقـل في شكلها الخارجي إلى ثلاثـة أقسام رئيسة، وهي: الأول النسيـب، وهو بلا شك أكثر السمات بروزًا: الشعور المسيطر على هـذا الجزء هـو الاشتياق، والشاعر يسترجع ذكرياته مـع حبيبته في الأماكن الخاليـة من السـكان الآن، (وهو وضع مستمد مـن المجتمع البدوي الجاهلي الـذي كانـت فيه القبائل تسكـن بجانب بعضها في وقت الربيـع). وفي القسم الثـاني يتخلصـ الشاعر من حزنـه على الماضي من خلال ذكـر رحلته، التي عـادة تعني ركوب الجمل، ويكون مصحوبًا برسـم تصويري واضح لحيوانات

الصحـراء مثـل الظبـي والنعامـة والحمـار الوحشـي. والقسـم الأخير من القصيـدة هو الأكثر تنوعًا، وقد يحتوي على موضـوع أو أكثر من الموضوعات التـي سبق ذكرها بصفتهـا مادة للقطعة: أبيات ساخـرة ضد قبيلة منافسة، أو فخـر الشاعر بنفسـه أو بقبيلتـه، أو الشجاعة، أو مديـح موجه لولي نعمة الشاعـر. ومـن المحتمل أن تنـم الحرية الكبـيرة المعطاة للشاعـر في الجزء الأخـير عن أن اجتماع النسيب وموضوع الراحلـة قد ظهر بوصفه تقليدًا قبل أن تتطور القصيدة إلى شكلها الكامل كما يفهم[38].

وكما يبدو مما سبق فإنه من غير المتوقع أن يجد القارئ الغربي الحديث القصيـدة الجاهليـة «سهلة القراءة»، وحتـى في الترجمة، وهنـاك عدد من الصعوبـات الكبيرة التي تعترض الاستمتـاع بهذا الفن. وحين يواجه المترجم المشـكلات اللغوية في قصيدة مكونة من مئة بيت متخمة بكلمات قديمة، فهذا في حد ذاته كافٍ[39]. ولكن بالنسبة لكثير من القراء، فإن البيئة الصحراوية الغريبة عليهـم والبيئة الاجتماعية للمجتمع البـدوي الجاهلي يكون في بعض الأحيـان حواجز تمنع الفهم. وعلى الرغم مـن أن أفضل الميزات الفنية التي تتجاوز الحواجز الثقافية تتضح بقوة، فإن دور الشاعر بوصفه متحدثًا باسم قبيلتـه غريبٌ على الغرب الحديث - وحتى في الشـرق الأوسط، وأصبح شيئًا من الماضي بتحول مركز المجتمع الإسلامي من البيئة الصحراوية مهد ظهوره إلى قصور دمشق وبغداد وأماكن أخرى.

وبغض النظر عـن هذه الإشكالات المتعلقة بمكانته، فإن الشعر الجاهلي استمـر مصـدرًا للإعجاب والتقديـر، وقد يكون أفضل مثـال على فن الشعر

العربي حتى الوقت الحديث، ويجد صدى لموضوعاته الرئيسة حتى في بعض النظم الحديثة[40]. وعلى الرغم من محاولات الناقد المصري طه حسين[41] وآخرين في بداية القرن العشرين لإلقاء ظلال من الشك على حقيقة هذا الشعر، مجادلين بأن هذا الشعر هو شعر متأخر، ولكن هذا الرأي - وهو قابل للجدل - لم يَعُدْ يحظى بتأييد جاد، ويقبل الشعر الجاهلي الآن أو معظم الإنتاج الجاهلي على الأقل والمنسوب لشعراء عرب من القرن السادس على أنه حقيقي، وانتقل عبر الرواة من جيل إلى آخر، وأفضل هذه القصائد جمعت في القرن العاشر الميلادي في مختارات أدبية عرفت باسم المعلقات -وهو مصطلح مازال معناه غامضًا- والتفسير التقليدي القائل: إن هذه القصائد «علقت» داخل الكعبة في الجاهلية ليس له أساس من الصحة. وعلى الرغم من أن المحتوى الدقيق لهذه المختارات الشعرية يختلف من مجموعة إلى أخرى، ولكن معظم المجموعات تتركز على أساس مكون من سبع قصائد متنوعة (السبع معلقات) بما في ذلك قصائد لعنترة[42]، ولبيد وامرئ القيس الذي افتتاحية معلقته المشهورة تبدأ بـ «قفا نبكِ من ذكرى...» عُدَّتْ من أفضل القصائد العربية على مر العصور.

وعلى الرغم من أن الرسول محمدًا ﷺ كان لديه ما يسمى بـ «شاعر الرسول» حسان بن ثابت، ولكن موقفه من الشعر والشعراء بقي غامضًا إن لم يكن عدائيًا بوضوح. وبالتأكيد، فإن ارتباط الشعر بالقيم الوثنية التي رفضها الرسول ﷺ أدى إلى أن ينظر إلى الشعر بشك لبعض الوقت من جهة عدد من أعضاء المجتمع الإسلامي الفاعلين. وربما لهذا السبب، فإن موجات الفتوحات العربية الكبيرة خارج شبه الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول ﷺ

(التي قد تكون، موضوعًا رائعًا لشاعر حرب مثل عنترة) مرت هذه الأحداث دون تسجيل يذكر لها في الشعر.

وأصبحت التغييرات واضحة على الشعر العربي بعد أن عاود صعوده في الجزيرة العربية نفسها، هذا التغير كان واضحًا في البناء الشعري وفي الأفكار الرئيسة، وحلت القصيدة الطويلة محل قصائد الغزل الأقصر، التي اتسمت بالوضوح وبأسلوب أقل تكلفًا. ومن المحتمل أن أول واضع لهذا الاتجاه هو الشاعر المكي عمر بن أبي ربيعة (720م) الذي احتوى ديوانه على 440 قصيدة وقطعة اتسمت كلها بمشاعر الحب والرقة، وغلب عليها النغم الجزل. ونظم عددًا ليس بالقليل من هذه القصائد في موسم الحج، وهو الموسم الذي يرحب به الشاعر بوصفه مناسبة لملاحقة مغامراته الغزلية. وكان أسلوب هذا النوع من الشعر مرغوبًا في العاصمة الأموية دمشق التي قد يكون اختلط فيها مع قصائد الخمريات المحلية.

وبالعكس، تميز شعر المدينة المقدسة الثانية في شبه الجزيرة، المدينة المنورة، بتصويره الحب المستحيل. ومؤسس هذا النوع من الشعر هو جميل ابن معمر من قبيلة بني عذرة، وسريعًا ما عُرِفَ هذا النوع من الشعر بالشعر العذري، وأنتج عدد من الشعراء الذين كان قدرهم أن يبقوا مخلصين لأحبائهم، ولكن لا يجتمعون بهم حتى الممات. وأسبغت على بعض هؤلاء المحبين جميل وبثينة، وقيس ولبنى، والمجنون وليلى[43] – بعد مدة من الزمن صفة أسطورية[44]، وشكلوا موضوعًا لقصص رومانسية أُغْفِلَ فيها الأشخاص التاريخيون. وظهر كثير من المحاكات لقصة المجنون وليلى بشكل خاص، وانتشر الأسلوب الحزين لهذا النوع من الشعر خارج حدود العالم

العربي ليُقَلِّد في الفارسية، والتركية، وبعد ذلك قلّده الشعراء الأوروبيون في عدد من القرون. وقد أثر على التراث الصوفي وعلى الشعر الصوفي، وأدى دورًا في تطوير الفكرة الأوروبية (للحب الريفي)، على الرغم من أن العلاقة بين هذين التراثين غير واضحة تمامًا[45].

وعلى الرغم من روعة الحقبة الأموية، ولكن العباسيين هم الذين أحدثوا التحول في مركز الحكم للإمبراطورية الإسلامية من دمشق إلى بغداد عام 750م، ما أفسح الطريق للازدهار العظيم للشعر العربي القديم. وأحدث هذا التحول تغيرًا في التوازن بين العرب وغير العرب المسلمين، فاتحًا الباب للتأثيرات الفارسية وغيرها من الشرق للانتشار. واتسم الشعر، مثل معظم النثر، في العصر العباسي بالتوتر بين القيم التقليدية للثقافة العربية الصحراوية التي أنتجت القصيدة الجاهلية من جهة، ومن جهة أخرى بين أسلوب الحياة المدنية في بغداد المتأثرة بالثقافة الإيرانية. وعضدت وجهة نظر النحويين الاتجاهات المحافظة بأن نظم الشعر على شاكلة الشعر الجاهلي هو الهدف الشعري الأسمى، ونجد أن الشعراء مازالوا ينظمون قصائدهم مبتدئين بالتأمل في مضارب الخيام الصحراوية، ولكن شعراء آخرين قدموا صورة صادقة للمجتمع المعاصر، سواء في الموضوع أم في مواقفهم التي لم تكن متشددة بشكل كبير. ولكن الشعر العربي بقي محافظًا على أوزانه ولغته خلال العصر العباسي، وبالتأكيد ظل كذلك حتى القرن التاسع عشر الميلادي.

يُعَدُّ بشار بن برد (توفي 794م) وأبو نواس (756م- 810م) أوضح مثال على الاتجاهات الشعرية الجديدة في أوائل العصر العباسي، وكلاهما من الموالي الفارسيين، وعرفا بمواقفهما الماجنة تجاه معايير القيم الأصيلة. وشعر

بشار بن برد، الأول في سلسلة من الشعراء العميان والكتاب التي وصلت ذروتها في القرن العشرين برجل الأدب المصري طه حسين، له وضع خاص للفرق الذي يشكله بين الحضارة الفارسية القديمة والعادات الفظة للعرب البدو، ويَعُدُّهُ معظم النقاد أول الشعراء «المحدثين»، ونصيرًا مبكرًا لأسلوب شعري عرف باسم البديع[46]، تميز بالاستخدام المكثف لأساليب البلاغة والمجاز. وكان أبو نواس الأشهر منهما؛ لمجونه وموقفه المهمش للرموز الدينية، وليس فقط موقفه من الإسلام، ولكن أيضًا تجاه تقاليد القصيدة التراثية، مستهزئًا بتقليد بدء القصيدة بذكر المنازل المهجورة[47]. ومن بين جميع الشعراء العرب، فإن الأكثر حداثة و«الأقرب» إلى القارئ الغربي[48] هو أبو نواس، على الرغم من السمعة المبالغ فيها التي لحقت به، فمن المُسَلَّم به أن الاستمتاع كان هدف حياته، وعرف بأنه أهم مناصر لشعر الخمريات العربي.

المجال هنا لا يسمح بتناول تفاصيل تطور الشعر العربي خلال العصر العباسي[49]. وهناك بعض النقاط العامة - كما هي الحال في أي عصر - التي تستحق الإشارة إليها؛ لعلاقتها بالتطورات اللاحقة. أولًا، إنه على الرغم من وجود كثير من الشعراء المشهورين بتهتكهم وحياتهم غير التقليدية، ولكن البناء المتعارف عليه للشعر العربي بقي في شعرهم يقاوم التغيير، والتزم معظم إنتاجهم بقوالب الأوزان التي وضعها الخليل بن أحمد في القرن الثامن الهجري[50]. والاستثناء الرئيس لهذا التعميم هو القصائد المعروفة باسم الموشحات، التي ظهرت في إسبانيا الإسلامية في أواخر القرن التاسع الميلادي، والتي وَلَّدَتْ سماتُها اللغوية وأوزانها اهتمامًا علميًّا ونقاشًا حاميًا، ليس فقط لأنها تبدو في بعض الأوجه رادمة الفجوة بين الثقافة «العليا» والشائعة، ولكن

أيضًا للدور الذي أدته في تطور الشعر العامي في أوروبا[51]. والنقطة العامة الثانية التي يجب أخذها في الحسبان هي ازدياد أهمية رعاية الشعراء في تطوير الشعر خلال هذه الحقبة. ولذلك كانت هناك سوابق: وكما ذكرنا سابقًا[52]، فالرسول ﷺ سمى حسان بن ثابت «شاعر الرسول» ورعاه، كما استمتع أبو نواس فيما بعد برعاية هارون الرشيد وابنه الأمين في بغداد. ومنذ القرن العاشر الميلادي قادت توجهات سياسية تطالب بعدم مركزية الحكم وإقامة دويلات تحكم باستقلالية في المناطق البعيدة عن مركز الإمبراطورية الإسلامية، وكثير منها كانت لها أهميتها في الرعاية والدعم الذي قدموه للأدب والأنشطة الثقافية الأخرى.

وعمل المتنبي (توفي 965م)[53] بعض الوقت في بلاط سيف الدولة الحمداني، أحد حكام الدولة الحمدانية التي عاشت حقبة قصيرة في الشمال الشرقي لسوريا، ويبين عمله المردود المادي والخطر الذي يقدمهما العمل في بلاط هؤلاء الرعاة الجدد. قضى المتنبي نحو تسع سنوات (948 – 957م) في بلاط الدولة الحمدانية. ولبعض الوقت كان يغدق عليه سيف الدولة الأموال، ولكن غروره وطبيعته الجامحة خلقت له كثيرًا من الأعداء، وهرب عام 957 إلى مصر، وهناك نعم برعاية الوالي الإخشيدي كافور نحو خمس سنوات قبل أن يهرب مرة أخرى، وهذه المرة اتجه إلى العراق وفارس، وبعد ذلك ببضع سنين قتل حين هاجم قطاعُ طرق قافلةً كان بها قرب بغداد.

على الرغم من إعجاب الكتاب العرب المتأخرين بشعر المتنبي، ولكنه لم يكن خاليًا من العيوب، وانتُقِدَ شعره حتى في حياته؛ لسرقته من شعراء

آخريـن، ولأخطاء اللغة، وأيضًا لمعتقدات الشاعر المهرطقة. وبناءً على قاعدة أن القصيـدة يجـب أن تبنـى بوصفهـا وحـدات عضويـة، وفي أفضل حالات شعـره جمع بين الأفكار البطولية للتراث الجاهلي والإبداع التقني الذي طوره الشعـراء المتأخـرون، ولكنها - لسـوء الحظ - كانت تقدر مـن معظم النقاد العرب بوصفها مصدرًا للاقتباس القصير. ولم يتأثر كثير من النقاد الغربين بشعـر المتنبي، ربما لحبه وإغراقـه في الصور البلاغية مثل التضاد والجناس (كلمـات تكتـب بطريقـة واحـدة، ويختلـف معناهـا)[54]. وذهـب نيكلسون Nicholson بعيـدًا في تعليقـه إلى حـد «لا يمكـن لمحبـي الشعـر، كمـا يفهم المصطلـح في الغرب، الإحساس بالمتعة الجماليـة في كتاباته. وعلى النقيض، سيكونون مشمئزين من الجماليات التي بالكاد تقل عن الأخطاء التي ينسبها النقـاد العـرب إليه»[55]، وعلـى أن هذا الحكم متطرف بشـكل واضح، ولكنه ليس الوحيد.

لقـد انتشرت شهـرة المتنبي في ربوع العالم الإسلامـي من الأندلس حتى إيران، واتبع أسلوبه الشعري عدد من الشعراء المهمين المتأخرين ليس آخرهم الشاعر الأعمى أبو العلاء المعري (973م- 1058م)، الذي أَهَّلَتْهُ كفاءته وبراعته في اللغة العربية وروحه الإنسانية المتشائمة لأن يكون أعظم رموز الأدب العربي في التاريخ[56]. وربما أهم من ذلك، من جهة نظر تطور الأدب الحديث، وأصبح سريعًـا يُنظر لأعماله على أنها إحـدى ركائز المعيار الأدبي، التي استلهم منها رواد الحركـة الكلاسيكيـة الحديثة، ومـن ضمن هؤلاء شعـر البارودي، الذي يعطي أمثلة عدة لمراجع التداخل النصي إلى أعمال المتنبي[57].

المرحلة «الانتقالية»

دأب الوصف التقليدي لتطور الأدب العربي في تصنيف الحقبة الأولى من العصر العباسي على أنها «العصر الذهبي»، وتبعها مرحلة طويلة من الانحدار - سريعة أو بطيئة بحسب وجهة نظر الكاتب - إلى المتوسط أو الأسوأ. وفي هذه العملية، كان أخطر هذه الشرور المغول، الذين وضع اجتياحهم بغدادَ عام 1258م نهايةً للخلافة المستقلة، والأتراك العثمانيون، الذين أدى احتلالهم مصرَ وسوريا في بداية القرن السادس عشر الميلادي والسيطرة الأجنبية الطويلة التي أجبرت اللغة العربية على أن تنافس اللغة التركية بصفتها أداةً للتعبير في أصقاع كثيرة وسط العالم الإسلامي. وقاربت اللغة التي وصف المعلقون بها في بعض الحالات هذه العمليات بالإثارة. على سبيل المثال، تحدث جيب Gibb عن «سبات فكري عميق»، يبدو أنه حط على البلاد العربية بعد الغزوات العثمانية[58]، في حين لاحظ نيكلسون أن المغول قاموا بتخريب كامل، ولم يدعوا بذورًا يمكن أن تزدهر منها حضارة، ويستمر قائلاً: سيطر على شمال إفريقيا البربر، وهم شعب قاسٍ وجاهل، وسيطر فساد العسكر الاستبدادي التركي على مصر وسوريا[59].

من العبث التظاهر بأن هذه التعليقات المنتقصة عن حالة الأدب العربي والتعليم في حقبة الغزو المغولي ليس لها أساس من الصحة. ويسجل ملاحظ معاصر لها، الرحالة الجغرافي ابن بطوطة[60]، في زيارته البصرةَ عام 1327م «حين قام الخطيب في (صلاة الجمعة) لقراءة الخطبة، فارتكب أخطاء عدة كبيرة، وكنت مذهولاً من ذلك، وتحدثت عن ذلك مع القاضي الذي أجابني: «لم يبقَ في هذه المدينة أحد يعرف أي شيء عن النحو[61]». وعلى مستوى آخر، التكرار لهذه المقولة المملة من معلقين غربيين وعرب بأسلوب أو بآخر

لتوضيح أدب تلك الحقبة الـذي «اتسم بالغياب الافتراضي للأصالة وفقدان قوتها[62]، ويمكن أن يُدعَم ذلك بعدد من الأمثلة. ومثل كثير من مظاهر تطور الأدب العربـي فإن هذا «الفقـدان للقوة»، يمكن أن يرد ربمـا لأي تداخل بين عناصر الثقافة العامة (في هـذه الحالة السيطرة الأجنبية) وتطورات أخرى لهـا اتجـاه أدبي معـين - وفي الشعر، فـإن جاذبية أسلوب البديـع الذي حمل اعتمـاده على اللفظ الفني بذور دماره الذاتـي، في حين في النثر، فإن المقامة مـع سجعها المعقد حافظت على جاذبيتها عنـد الكتاب ذوي الميول الفلسفية، وبمـرور الوقت فقدت مثـل الشعر إمكاناتها الإبداعيـة[63]. وفي الوقت نفسه، كانـت هنـاك استثنـاءات عـدة واضحة لهـذا التعميـم الواسع عـن «فقدان الإبـداع، فهناك عدد كبير من الكتاب، ويشمـل ذلك على سبيل المثال، المؤرخ ابـن خلـدون (1332م- 1406م)[64]، والرحالة الذي سبـق ذكره ابن بطوطة، والشاعر عبدالغني النابلسي (توفي 173م).

ويمكـن الإشـارة إلى نقطتين عامتـين: الأولى، يبـدو أن هناك تحولًا في التركيـز عند عدد من الكتـاب المبدعين في تلك الحقبة مـن «الأدب» بالمعنى الحديث والاتجـاه إلى فروع ذات علاقة بالتاريـخ، والجغرافيا وعلوم الدين. والنقطـة الثانية، عانت تلك المرحلة ضعـفَ البحث العلمي في الغرب والشرق الأوسط - الذي نتج عنه في ظل غياب التحليل المبرمج أن المحللين أُجبروا على التعميمـات الواسعة التي من المستبعـد أن تصمد في وجه الزمن[65]. ولحسن الحـظ أن هذه الفجوة صغرت تدريجيًّا، وليس أخـيرًا النشر القريب لسلسلة «تاريـخ كامبريدج لـلأدب العربي القديم»، وهي سلسلـة مخصصة للسنوات بـين المرحلة الكلاسيكية والحديثة، والواعدة بإيضاح مواضع عدة بقيت حتى الآن بعيدة نسبيًّا عن البحث العلمي [66].

الإرث الشعبي و«المعيار» الأدبي

قيل القليل حتى الآن عن الأدب «الشعبي» أو «الفلكلور» في التراث العربي. وكما لاحظنا سابقًا، أحيانًا ومن المضحك أنه على الأقل حتى قريبًا، أن الأعمال الأدبية المعروفة للقراء الغربيين هي في الأغلب المجموعة القصصية ألف ليلة وليلة، التي تعرف بالإنجليزية بالليالي العربية - وهي عمل يفتقر إلى الوحدة، ومؤلفه أكثر من شخص، وهو بالأحرى مجموعة متنوعة من الحكايات ظهرت على مدى قرون عدة في بيئات ثقافية، من أوضحها الهندية والفارسية، وبغداد والقاهرة[67]. ويجمع النص عددًا من سلسلة قصص، التي يظهر أن لكل منها أصلًا مستقلًا، ومن أشهر قصص المجموعة تلك التي تصور بيئة بغداد العباسية وبوضوح شديد بلاط هارون الرشيد، ولكن المجموعة استمرت في النمو إلى نهاية القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر، ولا يوجد نص أصلي. وبهذا الشأن، تكشف المجموعة عن المعالم النمطية للأدب الشفهي، فينتقل من القصاص والرواة، كما نرى على سبيل المثال في تراث الحضارات الأخرى مثل الملاحم الإغريقية التي ناقشها أ. لورد A. Lord في دراسته المعنونة بـ «مغني الحكايات»، 1960م وأكثر من ذلك، أنه على الرغم من أن ألف ليلة وليلة هي الأشهر في الغرب من الأعمال «الشعبية»، ولكن التراث العربي يحوي في الحقيقة جسدًا كبيرًا من الأعمال «الشعبية» في النثر والشعر. وبعضها وليس جميعها يمكن وصفه بـ «الأدب الفلكلوري»، ويشمل قصص الحب مثل عنترة التي بنيت على سيرة الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد (القرن السادس الميلادي)[68]، وتغريبة بني هلال التي تصف رحلة بني هلال؛ والقصص الدينية الشعبية، وحكايات من أنواع مختلفة، والأدب الفكاهي، وأشهرها المجموعة القصصية عن الشخصية التاريخية الروائية والقصصية جحا.

وليس هذا مكانًا للتوقف لنقاش تفصيلي عما يمكن أن يدعى «الأدب الموازي»، وهو جسد غني بالمادة، التي لأسباب عدة بقي بعيدًا عن البحث بالمقارنة بما يدعى اليوم بشكل عام «الأدب الراقي» للتراث العربي الإسلامي[69]. ويكفي أن نقول، للأسباب التي كانت في أغلبها دينية: إن التطور اللغوي الأدبي في العالم العربي تأثر بقوة (ويصل ببعض الناس إلى القول: إنه أُمطِرَ) بنظريات تقليدية عن التفوق اللغوي المبني، في نص سياق ديني، على القرآن الكريم، وفي النص الدنيوي على لغة الشعر الجاهلي. وهذا الارتباط بمثالية العربية الفصحى مسؤول - على الأقل في جزء منه - عن الفجوة الكبيرة الموجودة بين اللغة المكتوبة (عادة تدعى العربية الفصحى الحديثة)، والمستخدمة الآن في البلاد العربية واللغة المتحدَّث بها أو العامية التي تختلف اختلافًا كبيرًا من منطقة إلى أخرى.

تقليديًّا، من النادر أن ينظر في الأعمال المكتوبة (أو في حالات كثيرة مروية) باللغة العامية إلى المعيار الأدبي، واستمر هذا الموقف حتى الوقت الحالي مدعومًا بتصريحات الطبقة المثقفة، على سبيل المثال، اشتهر عن طه حسين[70] قوله: «أنا سوف أبقى إلى الأبد معارضًا هؤلاء الذين يَعُدُّونَ العامية أداةً مناسبة للفهم المتبادل، وطريقةً لمعرفة الأهداف المختلفة لحياتنا الفكرية؛ لأني ببساطة لا أتحمل أي تشتيت للتراث أيًّا كان بسيطًا، الذي حفظته لنا العربية الفصحى». تفتقر العامية إلى صفات تجعلها جديرة باسم لغة»[71]، واستخدام نجيب محفوظ، الأديب العربي الوحيد الفائز بجائزة نوبل حتى الآن، وصفًا أقوى معلنًا: «العامية أحد الأمراض التي يعانيها الناس والتي يجب عليهم التخلص منها في تطورهم». وعَدَّ العامية إحدى سقطات مجتمعنا، بالضبط مثل الجهل، والفقر، والمرض[72].

وتميل هذه التوجهات إلى أن تدعم في العصر الحالي من جانب الاهتمامات الوطنية والسياسية، إذ ينظر إلى استخدام الفصحى بوصفها عنصرًا يوحد العالم العربي. وكما سنرى في الصفحات القادمة، لم تكن الممارسة دائمًا منسجمة مع النظرية. وظهور قراء الطبقة الوسطى في كثير من الدول العربية، إضافة إلى دخول الأشكال الغربية سمح بزيادة المرونة خاصة في الحوار الروائي في المسرح، حيث يبدو التحدث بالفصحى غير واقعي. وزاد نمو وانتشار أشكال متعددة من الإعلام بما في ذلك المذياع، والتلفاز، والسينما في القرن العشرين، الضغط لقبول العامية العربية «الثنائية اللغوية» في بعض المواضع التي تتقاسم على الأقل بعض صفات «الأدب». ولنقاش مفصل عن السمات اللغوية لثنائية اللغة يوجه القارئ إلى دراسات أكثر تخصصًا، مثل كلايف هولز Clive Holes [73]، وسوف تحوي الفصول المقبلة إشارات عدة إلى معاناة ونقاشات أثارتها هذه التساؤلات بين المؤلفين العرب المعاصرين - وهي أسئلة بقيت حتى الآن، في بداية القرن الواحد والعشرين من دون إجابة في كثير من الجوانب.

ملاحظات

1 - يستخدم المصطلحان بالمعنى نفسه من قبل الباحثين المختلفين.

2 - انظر ص (327-329).

3 - أحيانًا يضم الديوان عشر قصائد. لشرح أكثر عن المصطلح ومناقشة هذه القصائد انظر ص 33-28.

4 - لشرح هذا المصطلح انظر ص 27-24.

5 - أو الليالي العربية. للمزيد انظر ص 40-39.

6 - من بين الذين يمكن أن نذكرهم (مع أخذنا للأدب، الآن، بمعنى أوسع) ابن خلدون (1406-1332) وابن بطوطة (ت 1377/9-1368). وانظر أيضًا ص 29-27.

7 - بعد الهجرة (Anno Hegirae) تختصر عادة باللاتينية إلى AH. يجب أن نلاحظ أن التقويم الإسلامي الذي يستخدم على نطاق واسع مبني على الأشهر القمرية، وليست الشمسية، ومن ثَمَّ فإن السنة الإسلامية تزيد على الشمسية بنحو عشرة أيام كل سنة.

8 - أحدث التساؤل عما إذا كان يمكن وصف لغة القرآن الكريم بالسجع جدلًا، وذلك للعقيدة الإسلامية بإعجاز القرآن الكريم، انظر ص 18-16.

9 - انظر، على سبيل المثال، W. Montgomery Watt، Mohammad at Mecca، Oxford، 1953، و Mohammad at Madina، Oxford، 1956.

10 - ومن هنا، على سبيل المثال، قرار Arberry في أن يدعو ترجمته القرآن الكريم مفسَّرا The Koran Interpreted وعناوين أخرى تشير إلى معاني القرآن الكريم... إلخ.

11 - أفضل مثال معروف في الزمن «الكلاسيكي» ربما يكون أبا العلاء المعري (973م- 1058م)، والمثال الحديث الكاتب التونسي عز الدين المدني (1938م).

12 - مقتبس من R. A. Nicholson، A Literary History of the Arabs، p. 142.

13 - بدقة، مصطلح الحديث يشير إلى نص مفرد، ولكن المصطلح يستخدم أيضًا عمومًا ليشير إلى فرع الحديث المكون من أحاديث الرسول ﷺ.

14 - وتسمى أيضًا إسنادًا، وتعني «دعم» مصداقية الحديث.

15 - مسند ومصنف على التوالي.

16 - ترجمة والجمع تراجم.

17 - على الرغم من أن الطبري ربما يعرف أكثر لدى الغرب بوصفه مؤرخًا (على الأقل بسبب المشروع الضخم الذي ترعاه اليونيسكو لترجمة عمله الرائع «تاريخ الرسل والملوك» إلى الإنجليزية)، ولكن معظم المسلمين ينظرون إليه بوصفه رجل دين بشكل رئيس.

18 - أصول هذا المصطلح ومعناه غامضة إلى حد ما. للنقاش حولها انظر EI2، s.v.

19 - انظر أعلى الفصل الثامن.

20 - وتكتب أيضًا الغزالي.

21 - ترجمة إلى الإنجليزية W. M. Watt بعنوان «Deliverance from Error...» in The Faith and Practice of al-Gazali، London، 1953.

22 - لمعرفة المزيد انظر Beeston et al. (eds)، Arabic Literature to the End of the Umayyad Period (Cambridge History of Arabic Literature)، Cambridge، 1983، pp. 154-80.

23 - هذا النوع يماثل تقريبًا النوع الذي يعرف في التقليد الأدبي الغربي باسمه الألماني Furstenspiegel.

24 - مصطلح «الأدب» غير واضح؛ لأنه يستخدم باللغة العربية الحديثة بمعنى الكتابة الأدبية بأنواعها، وبمعنى أوسع من استخدامه في العصور الوسطى، ولا يزال يحتفظ بمعناه الأصلي «الأخلاق». للمزيد انظر Bonebakker، S. A. ‹Adab and the concept of belles-letters› in Abbasid Belles-Letters، ed Julia Ashtiany et al. (Cambridge History of Arabic Literature)، Cambridge، 1990، pp. 16-30.

25 - كناية تعني «صاحب العيون الجاحظة»، وتعني ضمنيًّا العاهة الجسدية. وهناك كثير من القصص عن قبح الجاحظ.

26 - يمكن للقارئ أن يقرأ بوصفه مرشدًا لهذا الأدب الرائع والواسع في كتاب Kilpatric، Hilary، 'Classical Arabic prose Literature: a researchers' sketch map'، JAL 23 (1992)، pp. 2-26. وLeder، Stefan.

27 - انظر ص 20-18.

28 - هذا الاسم مبهم إلى حد ما، ولكن قد يكون عُنِيَ به أن يكون مقابلًا لجلسات العالم المسلم مع مريديه.

29 - انظر لذلك J. T. Monroe، The Art of Badi al-Zaman al-Hamthani as Picaresque Narrative، Beirut، 1983. وكنية بديع الزمان أسبغت عليه منذ صغر سنه اعترافًا ببراعته اللفظية.

30 - انظر ص 17-16.

31 - تظهر هذه الشخصية في معظم، وليس كل مقامات الهمذاني.

32 - انظر الفصل الثاني.

33 - حرفيًّا قطعة أو جزء.

34 - أصبحت مشتقات هذا المصطلح مصدرًا للجدال، وذات علاقة بالجذر قصد وفهم، على أنه يشير إلى واقع أن الشاعر لا يتجه مباشرة إلى موضوعه، ولكن يدور حوله إلى أن يصل إليه، وهناك تفسيرات أخرى.

35 - انظــر م. م. بــدوي ‹JAL ’FromPrimary to Secondary qasida... .11(1980)، pp. 1-31

36 - لتفسير أدق، انظر ‘Prosody ‘EAL، s.v. .

37 - كتاب «الشعر والشعراء»، مقتبس من كتاب نيكلسون Nicholson، A Liter-ary History of the Arab، pp. 77-8.

38 - انظر قصيدة EAL، s.v.

39 - لمعرفــة تفاصيل عن النسخ الإنجليزية انظر ‹المعلقات› EAL، s.v. أنجح ترجمات حديثة قد تكون تلــك التي ترجمها مايكل سيلس Michael Sells مثل، Desert Tracings: Six Classic Arabian Odes، Middletown، 1989.

40 - انظــر مثلًا قصيدة العودة للشاعر المصــري الرومانسي إبراهيم ناجي، نوقشت ص 122 من هذا الكتاب.

41 - انظر ص 173-177.

42 - انظر ص 28 كذلك.

43 - لقــب الشاعــر قيس بن الملوح الــذي قاده حبه اليائــس لمحبوبته ليلى إلى الجنون.

44 - انظــر لذلك، A.E. Khairallah، Love، Madness، and Poetry: An Inter-pretation of the Magnun Legend، Beirut، 1980.

45 - انظــر، على سبيل المثــال، J.S. Meisami، ‹Courtly Love›، EAL، 1 pp. 176-7.

46 - أدبيًّا «الرواية» أو «جديد». لمناقشة المصطلح انظر EAL، 1 pp 123-3.

47 - انظــر45، على سبيل المثــال، Nicholson، Translations of Eastern Poetry and Prose، pp. 33-4.

48 - مجموعة ترجمات الشعر العربي الحديث Desmond O›Grady بعنوان Ten Modern Arab Poets (Dublin، c. 1992) وفيها ترجمة لإحدى قصائد أبي نواس.

49 - لقراءة شيء مماثل، انظر، على سبيل المثال Abbasid Belles-Letters (Cambridge History of Arabic Literature)، ed. Julia Ashtiany، Cambridge، 19990.

50 - لملخص مفيد عن النظام النحوي الخليلي انظر EAL تحت ‹Prosody›.

51 - لقراءة مقالات مختارة عن الجوانب المختلفة لهذه القصائد انظر Studies on the Muwassah and the Kharja: Proceedings of the Exeter International Colloquium، eds Alan Jones and Richard Hitchcock، Reading: Ithaca Press for the Board of faculty of Orintal Studies، Oxford University، 1991.

52 - انظر ص 25-24.

53 - هنا شرح للذين لا يعرفون العربية عن النبي محمد ﷺ. قد تكون إشارة إلى قيادته للثورة السياسية - الدينية في مقتبل حياته.

54 - لملخص مفيد عن بعض أكثر التعابير المجازية شيوعًا انظر J. Arberry، Arabic Poetry: A Primer for Students، Cambridge، 1965، pp. 21ff.

55 - Nicholson، A Literary History of the Arabs، p. 308.

56 - عن أبي العلاء المعري انظر عائشة عبدالرحمن Aisha Abd al-Rahman، ‹Abu l-Ala al-Marri› in ‹Abbasid Belles-Letters (Cambridge History of Arabic Literature)، ed. Julia Ashtiany، Cambridge، 1990، pp. 328-38.

57 -

58 - Gibb، Arabic Literature، London، 1926، p.106.

59 - Nicholson، A Literary History of the Arabs، p. 442–3.

60 - عنه انظر Ross Dunn، The Adventures of Ibn Battuta، London، 1986؛ ترجمة إلى الإنجليزية H. A. R. Gibb، The travels of Ibn Battuta، Cambridge، 1958–71.

61 - اقتبسه Gibb، Arabic Literature، pp. 141–2.

62 - بدوي Badawi، A Short History، p. 2.

63 - انظر Haywood، Modern Arabic Literature، London، 1971. وأيضًا R. Drory، EAL، II، 508، s. v. ‹maqama›.

64 - عنه انظر A. Al–Azmeh، Ibn Khaldun: an Essay in Reinterpretation، London، 1982؛ repr. 1990.

65 - للإنصاف، سبق أن أعلنت هذه النقطة، قبل نحو قرن، على سبيل المثال من قبل نيكلسون A Literary History of the Arabs، p. 448: «شعراء هذه الحقبة غير معروفين في أوروبا تقريبًا، وحتى تتم دراستهم بالاهتمام المطلوب؛ لأنه من العجلة الإعلان عن أن لا أحد منهم يتعدى المستوى المتوسط...».

66 - Arabic Literature: the Post–Classical Period، ed. Roger Allen and DonaldRichards (Cambridge History of Arabic Literature)، Cambridge، 2006.

67 - هناك كتابات هائلة من الأدب الثانوي عن ألف ليلة وليلة وأكثرها باللغات الأوروبية، لبعض الاقتراحات المبدئية انظر المراجع بعد مقال ‹Alf Lay-la wa Layla› by D. Pinault، Encyclopedia of Arabic Literature، pp. 69–77.

68 - Antar and Abla: A Bedouin Romance، by Dian Richmond، London، 1978. الترجمة الإنجليزية.

69 - بداية مفيدة لمن هو مهتم بمتابعة هذا الموضوع U. Marzolph، 'Popular Literature (Al–adab al–shabi) in Encyclopedia of Arabic Literature pp. 610–11، مع المواد الأخرى المعطاة هناك التي لها صلة.

70 - انظر ص 239–238.

71 *Mustaqbal al-Thaqāfa fī Miṣr*, Cairo, 1954, p. 86.

72 Cachia, Pierre, *Arabic Literature: An Overview*, London, 2002, p. 37.

73 Clive Holes, *Modern Arabic: Structures, Functions and Varieties*, London and New York, 1995.